الكتب

شهرزاد

في اللغة الفرنسية

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

نوهت (الرسالة) في عددها الماضي بصدور ترجمة فرنسية لرواية شهر زاد للأستاذ توفيق الحكيم. وهذه شهادة ناصعة على مبلغ ازدهار حركة التجديد في مصر وعلى المستقبل المنتظر للأدب المصري بين آداب الأمم

ولما كانت الترجمة مصدرة بكلمة ليست على طراز المقدمات المألوفة بل هي من قلم عضو المجمع الفرنسي السيو جورج ليكونت تناول فيها الرواية بالتعقيب فأحسن جلاء فكرتها. فانه ليسرنا أن ننشر تعريب هذه المقدمة فيما يلي:

« شهر زاد! لا يتطلبن القارئ تحت هذا الاسم الحالم تلك المناظر المألوفة المعهودة في ألف ليلة وليلة، ولا أبهة الشرق كما اصطلح عليه العرف

طريق قفر. منزل منفرد في جنح الظلام. خيال مخدع الملكة مترائياً في حوض من المرمر: رمال الصحراء. وفي وسط هذه الرسوم الرصينة عن تعمد وقصد تتجلى المأساة الخالدة: مأساة النفس الانسانية في كل زمان ومكان

هنا شهر زاد، مجردة من بريق عقودها ومن أبرادها المذهبة تتبدى لنا في جوهرها وكنه ذاتها. وما شأن اسمها وسماتها؟ فلتكن لها طلعة امرأة أو طلعة الحظ أو العلم أو المجد، فما هي بعد إلا الذروة اللامعة التي يتطلع إليها طماح الانسان ويستنفد جهده نحوها؛ هي سراب بقيعة يهيج ظمأه ولا ينقع له غلة؛ هي الملتقى المحتوم يتوارى عنده أبداً تالف الرجاء وخيبة الأمل على لقاء موجع ووفاء فاجع

« لقد استمتعت بكل شيء، وزهدت في كل شيء » بهذا يهتف شهريار. لم يفتأ غليله ولم تطب نفسه بما سفكه من دم العذارى والعبيد، وما ذاقه من سحر ألف ليلة وليلة من ليالي الحب والفتنة قضاها بين ذراعي شهرزاد. لقد استنزف كل شيء من حيث المتعة. والذي يضني نفسه الآن إنما هو ظمأ جديد: « إني براء من الآدمية. لا أريد أن أشعر. أريد أن أعرف »

ومنذ هذه الساعة تظمأ المأساة ويعبّ عبابها، وتنحصر وتستحكم حلقاتها، إلى أن يصبح شهريار وشهرزاد وجهاً لوجه لا يمثلان غير الصراع المحتدم بين لهفة الانسان وسر الأشياء المطويّ دونه

يسألها شهريار: « من أنت؟ هل تحسبيني أطيق طويلاً هذا الحجاب المسدل بيني وبينك؟ »

فتغمغم شهرزاد كالمخاطبة نفسها بهذه الكلمات الخافية المشرقة: « وهل تحسبك — أيها الطفل — لو زال هذا الحجاب تطيق عشر ثوان لحظة؟ »

وليس أصدق من قولها هذا. فان موضع العظمة في قلق الانسان أنه قلق عضال لا دواء له؛ فضلاً عن أنه قد يكون ضرورياً للانسان باعتباره مدعاة لاستمراره في البحث والطلب، وعلة لهذه الغريزة التي تحفز كل جيل — بالرغم من هزائمه — على أن يعهد للجيل اللاحق شعاره وهو الأمل

ولقد كان لا بد من شاعر ليقدم في هذا الحيز المحدود على إجمال لأحدى المأساتين العظيمتين للانسانية؛ ولكنه كان لا بد من شاعر شرقي رقيق الحاشية دقيق الحس كالأستاذ توفيق الحكيم ليعالج صعوبة العمل بهذا الافتنان في التعابير المتراصفة النظم البارعة الوشي

ولا يسعنا أيضاً إلا الثناء الجميل على الأستاذين خضري وموريك بران؛ وكيف لا، وهما قد ترجما الى اللغة الفرنسية المطبوعة على الوضوح والتعقل عن لغة أخرى جعلت قبل كل شيء للتعبير عن العطور والأشعار والأسرار

عبد الرحمن صدقي